يوميات "إحسان شيرزاد":
معنى أن تكون مثقفاً
(٢-٢)

د. خالد السلطاني
معمار، وأكاديمي

إحسان شيرزاد، يعرض مخططات التصميم الأساسي لمدينة بغداد، ١٩٦٧.

يشرك كاتب المذكرات قارئه في الإحساس بالابتهاج والفخر، للمنجز الهندسي/ الإنشائي المتحقق، الذي اشتغل عليه إحسان شيرزاد على امتداد نشاطه المهني، الممتد طيلة ستة عقود ونيف. انه نشاط جاد، وممتع، وعالي المهنية، وفي كثير منه رائد، ومتفرد. لكنه، بالطبع، لا يخلو من قلق، القلق الإبداعي للحصول على أعلى درجات الإتقان والحرفية. نقرأ في اليوميات عن أحداث مفرحة، اضطلع بها إحسان شيرزاد، وأخرى تبعث على الحزن. فهو على سبيل المثال، تحدث عن أوائل أعماله الهندسية في أربيل، وهو جسر خرساني في منطقة كوره. والذي يذكره بكثير من الحنيّة المشوبة بالغبطة، "..هذا العمل الذي اعتز به يعد من بواكير أعمالي الإنشائية..، وهو أول جسر كونكريتي مسلح بهيكل صلب من نوعه في العراق" (ص. ٨٧). وإذ يشكر العمال الذين تفانوا معه في انجاز واجبهم، فإنه، احتفالا، في إتمام أعمال الجسر، يرتدي اللباس الكردي التقليدي، ويقرأ "المولد النبوي" لهم ولأهالي المنطقة المحتفين به وبالجسر الجديد!. يتذكر الكاتب أيضا، وبهلع، حادثة سقوط قالب نصب الحرية، في ساحة التحرير ببغداد، هو الذي أوكلت له الأعمال الإنشائية والإشراف الفني على التنفيذ. ويكتب ".. اذكر، أنه في المراحل الأخيرة للعمل، هبت رياح قوية أدت إلى هدم القالب الخشبي، الذي كانت عملية ربطه قد استغرقت شهراً كاملاً. وأتذكر أنه في ليلة العاصفة، وعندما كلمني المهندس حسيب صالح هاتفياً، ذهبت مسرعاً إلى مواقع النصب ليلاً. وقد تطلب الموقف مضاعفة الجهود لإنشاء قالب خشبي جديد... واذكر ايضاً . أنني لم انم في الليلة التي سبقت نهار فك القالب، خشية عدم تحمل النصب لثقله الكبير.." (ص. ١٤١).

كثيرة هي المباني، التي اشتغل إحسان شيرزاد على حلولها الإنشائية. إنها في الواقع، تعد، الآن، مثار اعتزاز المنجز الهندسي العراقي؛ فهو أسس مصرف الرافدين ، وأسس فندق بغداد، وعمارة بير داود، وجامع الست نفيسة، وعمارة منير عباس، وعمارة عبود، ، وجسور قناة الجيش، ومبنى مجلس الوزراء، والمجمع العلمي العراقي، ومبنى اتحاد الصناعات، وغير ذلك الكثير من المباني سواء المشيدة في بغداد أم خارجها، بل وحتى في خارج العراق أيضا. (ثمة قائمة بجميع المباني التي اشتغل عليها شيرزاد إنشائياً منشورة في "المذكرات" في صفحات رقم (٨٨٩، و٨٩٠، و٨٩١).

يميل إحسان شيرزاد إلى الدقة، بل هو ينزع لأن تكون الدقة المتحصلة على قدر كبير من الكمال والإتقان. وهذا الأمر لا ينحصر في الجانب المهني فقط، وإنما يشمل كل ما يمكن له أن يكون موضوعاً لانشغالاته. يثبت ذلك الأعمال الهندسية عالية الإتقان التي أنجزها، وتبرهن عليها المعلومات الموثقة الغزيرة، الحافلة بها يومياته التي نقرأها في كتابه المنشور. في مذكراته خزين من المعلومات الدقيقة، وذات الصدقية العالية. إنها مرجع رصين- كما أشير سابقاً – لأحداث متنوعة. وأنا، هنا، اقتطع "جزئية" من ذخيرة تلك المعلومات؛ التي قد لا تكون مثار اهتمام كثر من القراء، لكنها ذات أهمية بالغة للمعماريين، ولتاريخ عمارة الحداثة بالعراق تحديداً. إذ يعرف غالبية المعماريين العراقيين، بأن المعمار العالمي الشهير "فرنك لويد رايت"، زار بغداد في الخمسينات، وألقى محاضرة في جمعية المهندسين العراقية. بيد أن دقة شيرزاد وحرصه التوثيقي، لا تفوت هذه المناسبة، إذ يذكرها في اليوم والشهر والسنة؛ إنها: الأربعاء ٢٢/ ٥/ ١٩٥٧، ويضيف في يومياته، مسجلاً بعضاً من مضمون محاضرة رأيت، ويذكر بأنه ".. أشار في مستهل حديثه إلى أن تكليف مجلس الإعمار له بتصميم دار الأوبرا ببغداد، هو أحسن هدية له في ذكرى ميلاده الثامن والثمانين..، كما تم تكليفه في الوقت نفسه بتصميم مديرية البرق والبريد في بغداد" (ص. ١٤٨). نقرأ أيضا في المذكرات، بان "ألفار آلتو": المعمار الفنلندي المعروف، الذي كلف في وقتها بتصميم متحف الفنون الجميلة في العوينة بوسط بغداد، ألقى هو الآخر في يوم الجمعة الموافق ٢٦ تموز ١٩٥٧، على حدائق جمعية المهندسين محاضرة، عن مشروعه الجديد. (ص. ١٤٨). إنها معلومة هامة لجهة تحديد تاريخ الزيارة والمحاضرة، تضيف معارف طازجة إلى وثائق عمارة الحداثة بالعراق.

يسرد إحسان شيرزاد يومياته بإخلاص وتواضع صادقين. ورغم مهابة الأحداث وأهميتها، التي اضطلع بها كرجل دولة مقتدر، فإنها تظل غامرة بالحس الإنساني؛ الذي يجعل منها أحداثاً قريبة من قبل معظم القراء، ومفهومه لديهم. وهو لا يتوانى عن كشف أحاسيسه الصادقة ويعرضها أمام متلقي يومياته، بصورة مباشرة وعفوية. ولهذا ندرك، نحن القراء، بسهولة ونتفهم شعوره "الإنساني"؛ وخصوصاً عندما يكتب، وهو في بعثته الأمريكية ".. كنت وأنا البعيد عن الأهل، ابعث برسائل صوتية إلى والدتي.. أبدؤها بتلاوة القرآن الكريم، ..فقد كانت – رحمها الله – تحب سماع صوتي وأنا أتلو القرآن الكريم" (ص. ٥٠). أو عندما يشير في مذكراته إلى ذلك مراراً "..قرأت المولد النبوي مع العائلة، كالعادة، بالغة الكردية" (ص،٧٦٦). أو عندما يسجل في يومياته "الجمعة ١١/٢٩/ ١٩٦٨: في جامع الإمام الأعظم ، استمعت إلى القارئ الجيد الشيخ حسن أبو زايد، وقد قرأ قراءة ممتعة حقاً" (ص. ٢٧٥). أو عندما "يعترف" مسجلا ما يأتي "الأحد ١٩٦٩/٦/١٥: ظهرت مقالة في جريدة النور حول الرأسمالية (الكومبرادورية)، ولم افهم معنى الكلمة!" (ص. ٣٠٠). أو عندما يكون محبطاً "الأربعاء: ١٩٦٩/١/١: توقفت عن تسجيل مذكراتي لشعوري باليأس" (ص. ٢٧٩)، لكنه سرعان ما يعود إلى مزاجه المفعم بالأمل ويكتب في مطلع عام جديد "الجمعة ١٩٧١/١/١: جعل الله هذا العام ، عام خير وسلام" (ص. ٣٥٥). وعن شعوره تجاه زوجته المتوفية عمّا قريب، حينذاك، يكتب في يومياته "الثلاثاء ٢٠٠٥/٣/١٥: آخر يوم الفاتحة، وعند صلاة العصر أطال الله في عمرك، أيها الرجل الكريم!

ذهبنا إلى المقبرة لقراءة القرآن، والوداع. وضعي سيئ للغاية" (ص. ٧٧٨). وتصل مثل تلك الأحاسيس الزاخرة بالألفة، المشوبة بالحميمية، مباشرة إلى قلب القارئ، بكونها مشاعر إنسانية، قابلة للفهم والإدراك؛ هي التي، يوماً، لخص فحواها بعمق "كارل ماركس"، عندما قال مقولته المجنحة "ليس من ثمة شأن إنساني، بغريب عليّ!".

لا يمكن، بالطبع، عرض "مذكرات إحسان شيرزاد"، في مقال واحد. فالأحداث التي تعاطى معها الكاتب، وتلك التي مرّت على وطنه، غزيرة ومتشعبة وفريدة في نوعيتها، وحتى استثنائية في أهميتها. لكني أود أن أتجرأ، وأشير إلى كلمة واحدة، يمكن بها أن تحدد وتصف حال كاتبها، وهي كلمة: "المثقف". وأضيف لها "العراقي". ولئن عرّف الأنثروبولوجيون "الثقافة" – بكونها <المضاف الإنساني إلى الطبيعة>، بمعنى الانجازات التي حققها الإنسان عبر تاريخه الطويل، فإن إحسان شيرزاد، المثقف، قد ساهم في إضافة الكثير إلى معلوماتنا، ليس، فقط، من خلال اختصاصه الهندسي، وإنما عبر مختلف الأنشطة التي اضطلع بأداء مهماتها على أكمل وجه. انه، وبحسب رؤى المفكر الايطالي انطونيو غرامشي، ليس إلا "المثقف العضوي" عينه، الذي يحرص على أن تكون معارفه وعلمه واجتهاده وقفاً على منفعة الناس ووسيلة لخدمتهم وتقدمهم، هو الذي يؤمن، كما كتب في مستهل "مذكراته" < فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض>.

قد يطيب لآخرين، اعتزازاً، أن "ينسب" شخصية إحسان شيرزاد إلى إثنيته. وهو أمر أراه مفهوماً وحتى مقبولا، لجهة نزعة الافتخار المناطقي او القومي، التي جُبل عليها الإنسان. لكني أرى، في الاقتصار على ذلك، ليس من شأنه تماماً أن يرفع من قدر الرجل، أو يزيد من أهميته، هو الذي ما فتئ يدلل عبر نشاطه المتنوع والشامل، (والذي تعكسه بصدق، يومياته المكتوبة) عن انشغالاته الكثيرة والواسعة، بوسع المجال الذي يتحرك فيه ويعمل به، متجاوزاً بالطبع ضيق الانتماء الاثني وانغلاقه، الذي يسعى كثر إلى "إلباسه" إياه. انه، بمعنى من المعاني، يمكن أن يكون، وبجدارة، نموذجاً "للمثقف العراقي" المرموق، الذين يفتخر الوطن به، الوطن كله، الذي قدم إحسان شيرزاد عصارة تجربته، واجتهاده المهني والشخصي في سبيل تقدمه ونجاحه.

بقي عليّ، في نهاية مقالتي هذه، أن أشير إلى أمرين. عندما أنهيت محاضرتي، التي ألقيتها على أساتذة وطلبة قسم العمارة بالجامعة التكنولوجية ببغداد، في نيسان الماضي، تقدم نحوي أحد الأساتذة، وبعد أن جاملني بالثناء على المحاضرة، فتح حقيبته، وقدم لي كتاب "مذكرات إحسان شيرزاد". قد لا يكون ذلك الأستاذ (الذي، مع الأسف، لا أتذكر اسمه الآن)، على دراية تامة بمدى غبطتي وفرحي بهديته، وأنا استعيد، الآن، عبر قراءة الكتاب، مسار شخصية هذا الرجل الكريم والجاد، الذي اعرفه شخصيا، واعرف مدى حبّه وسعادته بعمله، وفرحه الغامر بلقاء الآخرين. (يدلل على ذلك اللقطات العديدة المنشورة في الكتاب، والتي يظهر إحسان شيرزاد في غالبيتها العظمى، ضاحكا وبشوشاً!). والأمر الآخر، هو معرفتي في وقت لاحق، عن مساهمة كريمة أحسان شيرزاد: صديقتي وزميلتي العزيزة "شيرين"، في العمل لأشهر كثيرة على إعداد هذه المذكرات وتقديمها للطبع. فشكرا لها، لصنيعها المهم والمؤثر.

لقد أتاح لنا، إحسان شيرزاد، عبر يومياته المنشورة، أن "نسافر" معه إلى مواقع السنين الماضية وأمكنتها، الحافلة بالأعمال الجادة والمتنوعة، كان فيها، هو "المثقف العراقي"، يعلمنا كيف يمكن للمرء أن يكون مثقفاً حقيقياً نافعا ..وعضوياً!.

البرج العاجي

فوزي كريم

الرداءة الكامنة

عادة ما يميلُ الناس إلى رؤية الشاعر قصيدةً تمشي على قدمين. لا يرغبون في رؤية الفاصل غير الظاهر بين الإنسان والشاعر الذي فيه. وهذه الرغبة هي التي تُحدث الالتباسَ بشأن علاقة الشعر والشاعر بالموقف الأخلاقي، وبالأخلاق جملة. إن الموقف النقدي الذي يقول بأن "لا علاقة بين الشعر والأخلاق" موقف بالغ الغموض والارتباك، لأنه لا يلتفت إلى أن هناك سلوكاً أخلاقياً يصدر عن الإنسان، وهناك سلوكٌ أخلاقي يصدر عن النص الشعري. وقد تكون الهوةُ التي تفصل بينهما كبيرة تماماً. صحيح أن القارئ والإنسان فينا يطمع أن يرى وحدةً بيّنةً بين الشاعر ونصه، وبين سلوكهما الأخلاقي. ولكن هذا التوقَ المشروع لا يتحقق إلا عند شعراء قلة. نحن نتفق على شاعر مثل أبي العلاء، ولكننا قد لا نتفق على شاعر مثل المتنبي. الأول يحقق توازنا مثالياً بين الشاعر (أو القصيدة) والإنسان، وبين سلوكهما الأخلاقي. والثاني حفنة تعارض بين هذه الأطراف: الإنسان، الشاعر، القصيدة، والسلوك الأخلاقي.

الذي ينتصر لأبي العلاء لا يستطيع أن يجرد الشعرَ من إنسانية الإنسان. من نبالة مهمته في رؤاه غير النفعية، غير السوقية. لأن الإنسانَ الذي يحتضنُ موهبةَ الشاعر ينقاد، في جملته، إلى تلك الرؤى فيتشذّب. والذي ينتصر لأبي الطيب إما أن يقول لك: غض طرفاً عن السلوك الرديء لقصيدته، وعن السلوك الرديء لشخصه. حينها ستتفتح لك القوى الجمالية الكامنة في لغته. أو يقول: إن توق المتنبي للإمارة هو توق شعري، تبدو الدناءة، والطمع، وتقلب المواقف مجرد وسائل دنيوية عابرة تحت ريح هذه الروح الشعرية العاصف.

عادة ما نسمع صرخات احتجاج ضد ربط الشعر بالموقف الأخلاقي. صرخات تصدر إما عن رغبة (غير واعية) في توفير حد أدنى من الغموض في العلاقة بين هذه الأطراف، أو رغبة (واعية) في إطلاق سراح الإنسان والقصيدة من أي شرط إنساني، وتعويمهما في تجريد إيهامي، يجعل صورة القصيدة التي تمشي على قدمين أمراً ممكناً.

السلوك الرديء في الإنسان رديء، صدر عن إنسان اعتيادي، أو إنسان شاعر. اللسان البذيء في كليهما يظل بذيئاً، حتى لو صيغ ببلاغة بارعة. الطعن غير المشروع، الذي يصدر عن شاعر بحق إنسان ما، اعتداء على حرمته وحريته يُعاقب عليه القانون. القصيدة النفعية التي تتوسل كل قدراتها من أجل تحقيق مكسب مادي أو معنوي، قصيدة دنيئة. الشاعر الذي يكذب على النفس، أو على القارئ، في ادعاءات باطلة لا صحة لها، شاعرٌ مُتدنٍّ.

لا بد من الاعتراف بالفاصل الذي يُبعد الإنسان عن الشاعر الذي فيه، من أجل أن نمنح أنفسنا حق الحكم الأخلاقي، أو حق التصرف إزاء النص الجيد للشاعر ذي السلوك الرديء. النص أقرأه في عزلة على الورق. صحيح أنني لا أورط النص بشوائب سلوك صاحبه، ولكنني أملك الحق في أن لا أقرب صاحبه هذا، وأحكم عليه بالرداءة كإنسان، وبملء الفم.

تحلو لبعض الشعراء الحجة الآتية: أحكم على النص، ولا تأخذه بجريرة سلوكي الشخصي. وهو رأي صائب، لو لم ينطو على معنى ضمني يقول: إذا تقبلت نصي الشعري فإنك بالضرورة ستبرر لسلوكي الشخصي كل شوائبه. هذه الحجة تجري مجرى الهفوات اللغوية لدى الشاعر: يحق له ما لا يحق لسواه. فهو أيضاً يحق له ما لا يحق لسواه من الناس من رداءة الخلق، وهفوات السلوك. وكأن الناس لا تملك الحق في الحكم على رداءة سلوك الشاعر، وهذه الرداءة تنعكس على بياناته النثرية بشأن نفسه، وبشأن الآخر.

على أن هذه التنويعات السابقة لا تُخفي اعتقادي الجازم بأن عورات الموقف الخلقي لدى الشاعر، (وهي تختلف عن مجافات العرف أو التقليد الموروث...)، لا بد هي كامنة في نصه الشعري. ولا تحتاج لاكتشافها إلا إلى قارئ ذي بصيرة.

إصدارات حديثة

راحلة من افريقيا بالعربية

أصدر المركز القومي للترجمة في القاهرة النسخة العربية لثلاثة أعمال للكاتبة إيزاك داينسن، وهو الاسم المستعار للكاتبة كارين بليكسن، التي ولدت في الدانمارك عام ١٨٨٥، وذلك من خلال سلسلة الإبداع القصصي، العمل الأول هو رواية "راحلة من إفريقيا"، من ترجمة رانية خلاف ومراجعة طلعت الشايب.

وتحتوي هذه الرواية على سيرة ذاتية، كتبتها داينسن في العام ١٩٣٧، حيث تحكي عن شوقها للعودة للجنة المفقودة في شرق إفريقيا.

وتحولت هذه الرواية إلى فيلم سينمائي، بعنوان "الخروج من إفريقيا"، وقد فاز بجائزة الأوسكار في العام ١٩٨٥، وتركز الرواية، وكذلك الفيلم، على السنوات التي قضتها داينسن في إدارة مزرعة للبن في كينيا.

الملا عبود الكرخي سيرة ومسيرة

عن دار المدى صدر للاديب جميل الجبوري كتابه الجديد "الشاعر ملا عبود الكرخي .. سيرة ومسيرة" الكتاب دراسة حديثة عن الكرخي واثره في الحياة الاجتماعية والثقافية كما انه يسلط الضوء على محطات مهمة في حياة الشاعر الكبير ومعاركه الصحفية والسياسية كما ينشر المؤلف وثائق خاصة بالكرخي .. الجبوري يعد واحدا من ابرز المهتمين بالفلكلور والتراث الشعبي والذي سبق له ان اصدر دراسة مهمة عن الصحفي نوري ثابت وجريدته حبزبوز .

أنسام وأعاصير

صدرت عن - منشورات ديوان اوقاف المسيحيين والديانات الاخرى - بغداد ٢٠١٢، كتاب يحمل عنوان – بين الاصيل والغسق – انسام وأعاصير – للباحث والمؤلف يعقوب افرام منصور ، يتناول المؤلف عددا من المواضيع المعرفية والتاريخية ،وسيرة ابطال ورموز دينية واسطورية وفلسفية ..

متاهة التأليف

للناقد جبار النجدي صدر كتاب نقدي بعنوان – متاهة التأليف - عن إصدارات اتحاد الادباء والكتاب العراقيين في البصرة . ان المؤلف في حقيقة الامر هو تلك النهاية التي لا تنضب ،والقائمة على استيلاد حكائي ازلي وهي بذلك اولى من سواها في القيام بدور المؤلف .

الصراع بين الشعر الفصيح والشعبي في نادي الكتاب بكربلاء

كربلاء/أمجد علي

تحولت أمسية أقامها نادي الكتاب في كربلاء عن الشعر الشعبي إلى مناقشة هادفة للإجابة على سؤال هل يوجد صراع بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي.. وهل ثمة علاقة بين الشعرين؟ وكانت الإجابات رغم تباينها بين المداخلين للضيف وهو شاعر شعبي فإن الأمسية لم تخرج خالية الوفاض بل أكدت على أن الشعر الفصيح هو الشجرة الوارفة القابلة للخروج إلى مديات ابعد من المحلية والشعر الشعبي الذي يستظل به الداخل في المجتمع الواحد.

وتحدث الشاعر الضيف الاسدي قائلا: إن لا صراع بين الشعرين بل هناك تنافس وتقسيمات وإذا ما صح لي التعبير فان هناك تجاوزا على الشعر الشعبي من قبل شعراء الفصيح لأسباب ربما تعود إلى التنافس.. ولكنه يعود ليتحدث عن الشعر الشعبي بوصفه جزءا من الأدب الشعبي الذي له مفهوم واسع، فالأدب الشعبي من وجهة نظر الاسدي أكثر عمقا وأكثر من أن يختزل بالشعر الشعبي فقط، فلكل شعب من الشعوب أدبها الشعبي الذي يكتنز الصور والحكايا سواء ما هو مدون منها أو ما هو شفاهي.. ويعود الاسدي للحديث عن الصراع فيقول: إن هناك فجوة أوجدها البعض بين الشعر الفصيح والشعبي. ويبين إن الجواهري الكبير قال ذات مرة انه إذا أردت أن أستمع إلى الشعر فإني أحب الاستماع إلى الشعر الشعبي وهذه إجابة لمن يريد صناعة الفجوة.. ويقول إن هذا القول لم يثن المنتقدين من الشعر عن اتهام الجواهري بالتقرب من الشعراء الشعبيين ومجاملتهم، وكان الجواهري بحاجة إلى مثل هذه المجاملة ويسرد الأسدي أقوالاً للعديد من الأدباء والنقاد وشعراء الفصيح بحق الشعر الشعبي، ويقول إن هناك أكثر من ٢٠٠ قول تنصف الشعر الشعبي.

لكن الناقد والقاص جاسم عاصي عد محاربة الشعر الشعبي شيئاً من الصراع الطبقي والدليل إن الشعر أنوجد لأسباب طبقية لذلك ترى أن الشعر الشعبي يراد له أن يكون طبقيا تارة ومخولا ولسان حال السلطة تارة أخرى ليبقى الصراع كما هو لان الشعر الشعبي سهل الانقياد.. ويشير عاصي إلى إن الشعر الشعبي هو لغة الناس والسياسة والصراع الطبقي كونه يعتمد على (الحسجة) وإذا ما غابت تحول إلى وظيفة وهذا واحد من أوجه الصراع.

ويرى الروائي والناقد علي لفتة سعيد أن لا صراع ين الاثنين، ومن يصنع الصراع يريد أن يجعل من الشعر العربي أو الفصيح في مكان أدنى . ويقول إن الشعر شعر سواء كان شعبيا أم فصيحا المهم أن نجد إبداعا. ويضيف سعيد أن الشعر الشعبي فن وقدرة ومهارة وصنعة للوصول إلى الصورة وانه قادر على أن يكون إشعاعا غير مرئي بين المفردة والصدق وهناك تكمن معادلة الشعر الشعبي، فحين يكون صادقا غير ميال لكفة فإنه سيكون شعرا.. وأفاد بأن معضلة الشعر الشعبي هي انه ابن بيئته ومجتمعه ولا يمكن له أن يتجاوز حدود المجتمع الذي هو فيه بل ربما يكون عصيا على الفهم في ذات البلد إذا ما اختلفت اللهجات..